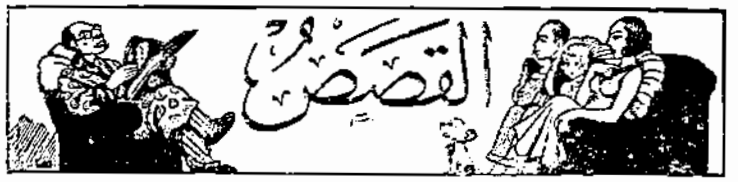

في ظلمة الليل

أسطورة فرعونية

« تحيـة للأستاذ يحيى حقي »

للأستاذ محمود بك تيمور

في أصيل يوم من الأيام ، كان « الشيخ حابى » في بستانه الصغير، أمام داره المتواضعة ، يتعهد نخيلاته ويستريض . فاسترعى انتباهه خفق أقدام ، فالتفت نحو مصدر الصوت ، فإذا بفتى يسير صوبه ، وهو يدفع — في جهد — قدميه المتعبتين ، وقد علاه الغبار ، فاختفت ملامحه ؛ بيد أن الناظر إليه يستطيع أن يلمح في عينيه على الفور حيرة الغريب . وكان يحمل في يده صرة ؛ فخف الشيخ للقائه ، وما إن اقترب منه ، حتى سمع الفتى يقول في صوت الهامس :

— الشيخ حابى ؟

— هأنذا ... ما مطلبك ؟

ووجد « حابى » الفتى يتخاذل أمامه ، فأسرع إليه ، وأسنده إلى صدره ، محيطاً إياه بذراعيه ، وقال له :

— أمريض أنت ؟

— بل جائع !

وسار به « حابى » إلى داره في رفق ، وأجلسه بجوار الباب على مصطبة عارية ، وتركه برهة ... ثم عاد إليه بإبريق مملوء باللبن ، فأخذ يعب منه الغريب ، حتى شبع ... وبعد أن تنفس طويلاً ، تمتم بكلمات الشكر لضيفه ، ثم أطرق وقتاً ... وأخيراً ، رفع رأسه ، وسرّح بصره في الشيخ ، والكلمات تتراءى حيرى على شفتيه ... وابتسم الشيخ ابتسامة تنطوي على عطف وطيبة ، وقال :

تكلم يا بني ، ولا تخش بأساً ... ما حاجتك ؟ إن حابى لا يرد حاجة الغريب !

فأمسك الفتى بيد الشيخ ، وضغطها في انفعال ، وقال :

— لقد حدثوني أنك تأتي بالمعجزات ، فسعيت إليك أطلب معجزة ! ...

فتأمل الشيخ وجه فتاه طويلاً ، يحاول أن يستكنه ما خلف تلك الصفحة الترِبة التَّعبة من خفيّة نفسه ، وقال :

— معجزة ؟ ... لستُ كاهناً يا بني !

— أنت أعظم من كاهن ...

— أفصح عن غرضك !

— إن قوة تعاويذك وعقاقيرك يا أبت مستمدة من روح الآلهة ...

— أنا حكيم زاهد ، قد أنجح في مداواة النفوس وتطبيب الأجسام ...

وحدق الفتى في الشيخ بعيون جاحظة ، ثم هبط أمامه ، وقال وقد تشبث بثوبه :

— وحق إيزيس لتنتزعن نفسي من بين جوانحي ، ولتلقين بها بعيداً عن جسدي !

— هدىء من روعك ... ...

— إني أمقت هـذه النفس الخاملة الميتة ... لتخلقني خلقاً جديداً ، ولتجعلن مني رجلاً ذا بأس واقتدار !

وجعل الشيخ يلاطف رأس الفتى ، ثم أنهضه في وداعة ، وأجلسه بجواره . وبعد حين ، قال له في هدوء ورزانة :

اروِ لي قصتك يا بني ... إني مصغ إليك في انتباه !

ودعم الفتى وجهه براحتيه ، وراح يرسل الطرف أمامه في ذلك الفضاء العظيم ، حيث يبسط الغسق على الكون غلالته السوداء . وأنصت برهة إلى ما يحيط به من صمت شامل . ثم تكلم فإذا به يقول:

أنا راموسى ... ولـكن ماذا يهمك من اسمي ؟ إن راموسى نكرة لا يحس وجوده أحد

— تكلم !

— إني أسكن على مسيرة شهر من هنا ...

— في بلدة رنسى ؟

— نعم !

— ذات المعابد الأربعة ، والسلات الخمس ؟ !

فواصل « راموسى » حديثه ، وقد رق صوته وضعف :

وحيث تسكن الأميرة أشْمس ... !

وطأطأ رأسه حيناً ، ثم رفع عينه بغتة ، وسددها فى وجه « حابى » وقال فى صوت غير متساوق النبرات :

أريد أن أكون عظيما ... أريد أن أكون مثرياً ... تزخر خزائنى بالأموال ... أريد ! ...

فابتسم الشيخ فى هدوء ، وقاطعه قائلاً :

إنه ليس بالطلب المستحيل ...

فاستنار وجه الشاب بلمعة متلألئة ... وقال :

إذاً ستأتى لى بمعجزة !

— إن ما تسميه أنت معجزة يا بُنى ، أسميه أنا أمراً قد يستعصى على بعض الناس ، ولكنه فى مقدور آخرين !

فهوى « راموسى » على يدى الشيخ ، وانهال عليهما تقبيلاً ، وهو يقول :

— شكراً شكراً ، سأذكر لك ذلك الجميل ماحييت ، وسأعوضك عنه أضعافاً مضاعفة ...

ثم رفع رأسه ، وقال :

أما الآن ، فليس لى ما أقدمه لك سوى ...

وتعثر لسانه بالكلمات ، فسكت ، وأشار إلى الصرة التى بجواره ، وفتحها بيد راعشة أمام « حابى » فنظر فيها الشيخ ، فإذا بخليط من قطع المادن ، بينها شىء قليل من الفضة والذهب . وتابع « راموسى » كلامه وقد غض من بصره :

— هى كل ما تبقى لى مما أملك !

— أبقها لك ...

— إنها قليلة ... أعرف ذلك !

— كلا ، فهى كثيرة إذا كانت منك . وهذا يكفى ... ولكننى لست فى حاجة إلى عطاء الناس ...

— أبَتِ !

ونهض « حابى » فى هدوء وهو يقول :

— ألا ترى يا بُنَىّ أن الليل قد أقبل يحمل فى أعطافه برد المساء ، وأنا كما ترى شيخ ...

— هيّا ...

* * *

وتركا المصطبة ، ودخلا قاعة غير رحيبة ، بسقف منخفض تكاد تكون عارية إلا من حصير وغطاء

وأشعل « حابى » مصباحه الزيتى ، ثم جلس وأراح ظهره على الجدار وقد طوى يديه إلى صدره . وجلس « راموسى » قبالته متربعاً ، لا يفصله عن الشيخ إلا المصباح ...

وانقضت برهة لم يتكلم فيها أحد منهما

ثم سُمِع « حابى » يردّد فى صوته الرزين :

— إنى مُصغٍ إليك !

فلم يحول الفتى عينيه عن المصباح وقال :

— كيف أبدأ لك قصتى ... حقاً إنه لجنونٌ ما فكرتُ فيه ... غير أنى لستُ نادماً على شىء ... لقد كنتُ أحيا يا أبَتِ مُتَبطِّلاً ، أخرج من دارى المهدَّمة إلى النهر أرتاض على شاطئه . حيث بساتين الأمراء ، أقضى اليوم كله متنقلاً بينها ، أستمتع بمرأى الرياحين ، وأستنشق عَرْفها الزكىّ . فإذا تَعِبتُ استرحت بجوار الماء وأخرجت نايى أناجيه ويناجينى !

— أموسيقى أنت ؟

— لم أجرب أن أصفر إلا لنفسى ...

وأخرج « راموسى » من ثنايا ثيابه نايا من غاب ساذَج المظهر ، وأراه الشيخ قائلاً :

— إنه زميلى الذى لا يفارقنى أبداً ... زميلى المطلع على سرّى ، العالم بما يجيش فى قلبى من أمان وأطماع !

— أمان وأطماع قد تبدو لك بعيدة التحقيق !

— إننى أضعها بين يديك ، فافعل بها ما أنت صانع !

— ألم تكن راضياً عن حياتك الهادئة ؟

— كل الرضا !

— إذاً « هى » التى غيّرت حالك ...

— من هى ؟

— تلك التى ذكرتَ اسمَها ، مشرِّفاً بذكره مدينة رنسى !

— نعم ، هى أشمس ، أميرة الأميرات ، وأقربهن صلة بفرعون الأعلى !

— أتمّمْ حديثك ...

— رأيتها يوماً تتنزه فى بستانها ، فسحرني لأول نظرة جمالها ؛ رأيتها ترتاد الخمائل فى حاشيتها ، فجعلت أرقبها خلف دَغَل من الأشجار ، وأضاءت نفسى على النوّ شمس وهاجة أمارت لى دنيا عظيمة كانت مختفية عنى . وإذا بى أقطع على نفسى عهداً بأنها لن تكون لسواى ... ولما عدت إلى دارى ، وراجعت هَجسات ضميرى ، هزئتُ بنفسى ، وكلى سخط وألم . ولكن عهدى ما زال ثابتاً على الرغم من كل شيء ، لا يتقهقر ولا يتزايل ؛ بل يتقدم فى جُرأة وإقدام ... ولكن كيف أنفّذ ذلك العهد ؟ هذا ما كان يحيرنى ويحز فى قلبي . منذ ذلك اليوم جعلت طريقى إلى بستانها لا أعرف سواه ، أقضى على مقربة منه يومى ، أراها ولا ترانى . فإذا ما صعدتْ فى قصرها انتحيتُ نحو الشاطئ ، وتخيّرت مكاناً ظليلاً ، وبثثت شكواى للناى ، فكنت أسمعه أحياناً يهمس لى : « لماذا لا تحاول التقرب إليها ؟ ... ... لماذا لا تكشف لها عن كوامن صدرك ؟ ... »

— ولماذا لم تَصدَع بما أوْحى لك به نايك ؟

— أتريد منى أن أستمع لذلك الساذج الغِرير ؟ ألم أقلْ لك من هى ؟ إن فيها من دم الآلهة يا أبَتِ ! ... وكلنا نعلم أن عظاماً تقدموا إليها بقلوبهم ، فردّتهم خائبين ... لقد أمضيتُ يا أبتِ الليالى الطوالَ أفكر فى مصيرى معها ... لا بد أن تقع معجزة تحولنى من صعلوك بائس إلى أمير يفوق جميع الأمراء ، يرضاه فرعون وترعاه إيزيس ... وكان أن اشتد بى الضيق يوماً ، فجريت صوب النهر ، وهممت أن ألقى بنفسى إلى التماسيح ... فى تلك الساعة الفاصلة ، سمعت هاتفاً يقول لى : « اذهب إلى حابى الحكيم ، فعنده تتم المعجزة »

فتمتم « الشيخ حابى » :

— أقال لك الهاتف ذلك ؟

— قسماً بإيزيس ربة الأرباب ، لقد سمعت صوته واضحاً يرن فى أذنى . وكانت التماسيح قد خرجت برءوسها تنظر إلى متنمرة فوجدتُنى فى لحظة أقفز متراجعاً عن النهر ، وانطلقتُ أعدو ... أكنتُ أعدو حقا ؟ لا أدرى ! كنتُ أحسُّ أنى محمول بقوة خارقة غير منظورة ... وفى الغد بعتُ ما أملك ، واستصفيتُ مالى ، وحملت زادى ، وسرت وَوِجْهتى دارك !

فأمسك « حابى » بيدَىْ « راموسى » وضغطهما وقال :

— ستتم المعجزة يا ولدى ، فاعتمد على

— إذاً ستجعلنى أمير الأمراء ؟ وإذاً ستجعل من أتمِس زوجة لى ؟

— إن علىّ لا يتطاول إلى مثل هذ الأمور !

— كيف ؟

— كل ما أقدر عليه أن أعمل على تغيير نفسيتك ...

— أوضح يا أبت !

— سيتغيّر فيك كل شيء ، شمائلك الأصيلة ستنقلب إلى ضدها ، الخمول سيغدو نشاطاً متأججاً ، والقناعة ستكون طمعاً صاخباً ، والرحمة ستفسح مكانها للقسوة والعنف ... ستكون حياتك يا راموسى كالبركان الفوّار ، لا يخبو له لهب ، ولا يسكن له زئير !

فطأطأ « راموسى » رأسه ، وقال :

— أبَتِ !

— ليس ثمّةَ طريق ينيلك ما تطلب من ثروة وجاه ومجد ، إلا هذا الطريق !

وصمت « راموسى » فترة ، ورأسه منحن على صدره ، وبغتة رفع وجهه إلى « حابى » وقال :

— ولكن حبى ، حبى ... أيعتريه تغيّر ؟

— حبك باق بقاء الروح الخالدة ... ولكن !

— ماذا ؟

— أواثق أنك ستكون سعيداً بنفسك الجديدة ، بعد أن تتم المعجزة ؟ وأنه لن يطول بك الحنين إلى نفسك الأولى ؟

— ... افعل بى ما تريد !

* * *

ودارت عجلة الحياة : الأيام تلو الأيام ، والأشهر إثر الأشهر ...

وكان ملك الغرب قد دفعه الطمع إلى امتلاك مصر ، فسيّر إليها الجيوش الكثيفة ؛ فغزت المناطق الشمالية فى غير عُسر ، ثم اندفعت فى طريقها تكتسح أمامها جند الوطن . ولم يُجْدِ تعيين القائد الكبير « رودا » أميراً على الجيش الذى أرسله فرعون لإنقاذ البلاد ... إذ أصيب « رودا » بهزيمة نكراء ،

وقتل فى المعركة ، وكاد الجيش يتفكك ويندثر ، لولا أن قيض الله له شاباً من بين المحاربين تزعمه ، فأخذ يجمع شمله ، ويبث فيه روحاً جديداً ؛ فلم ينقض وقت طويل حتى انقلبت الهزيمة إلى هجوم ، ثم انتهى الهجوم إلى مطاردة للعدو ، فاكتساح كامل له . وأصبح هذا الشاب قائداً للجيش ، ولقب نفسه بالأمير الأسود ، إذ كان يرتدى السواد دائماً . . . ولم يقتصر هذا الأمير على تطهير البلاد من جيش العدو ، بل تابع زحفه فى جرأة غريبة ، ففتح « مملكة الغرب » بأسرها ، وأخضعها لسلطان مصر ، فصارت تابعة لها . . .

* * *

كانت « رنسى » المدينة ذات أربعة المعابد وخمس المسلات حاضرة مصر الثانيـة ، تحتفل احتفالاً شائقاً بقدوم الجيش المنتصر ، وعلى رأسه أميره الأسود ، فقد عاد محملاً بأسلاب وغنائم لم يأت بها قائد منتصر من قبل . وكان موكبه حافلاً بالأسرى العظام من الأمراء والحكام وسراة الدولة المغلوبة . أما بقية الأسرى من الدهماء ، فقد اكتفى بقطع أيديهم ، وأطلق سراحهم ، حتى لا يعطلوا سير الموكب بكثرة عددهم . ولكنه احتفظ بتلك الأيدى ، فحملها معه ليقدمها إلى فرعون ، رمزاً للخضوع والطاعة !

وتمت مراسم الاستقبال فى عظمة وفخامة جديرتين بالقائد العظيم والفاتح الكبير ! ... ولكن الأميرة « أشمس » أولى أميرات البيت الفرعونى ، تخلفت عن حضور الاحتفال ، وأرسلت تعتذر لفرعون . وكان فرعون يعرف شذوذ طباعها واعتزالها العالم ، فقبل عذرها على مضض . ولكن رسول الأمير الأسود جاءها يحمل من الأمير نفسه رغبته فى زيارتها قبل الغروب لأمر ذى بال ؛ فلم تجد مخلصاً من استقباله ، وأمرت أن يعدوا القصر لهذا القدوم

وأخذ الأتباع يعملون بجد واهتمام فى تزيين القصر ، فما كادت الشمس تؤذن بالغروب حتى برز القصر فى غبشة الظلام كأنه قطعة من لؤلؤ تتألق ؛ وانتشر الطيب الذكى فى أرجائه ، فكأنه روضة فواحة من الأزاهر النضرة

وجاء الأمير فى الموعد فى حفل من قواده ، ودخل القصر وهو يضرب بقدميه الصلبتين الأرض ضربات شديدة تردد صداها جوانب المكان ، ويلتفت يمنة ويسرة بوجهه الرائع الذى تنم كل لمحة من لمحاته على رجولة قوية قاسية . وكانت لعيونه الواسعة إشعاعات قوية باهرة لا تقوى عين أخرى على تحديها ...

وما إن دخل البهو الكبير ، ورأى الأميرة واقفة فى صدره تحف بها وصيفاتها ، حتى توقف بغتة ، واتسعت حدقتا عينيه ، وتفتح وجهه فى لحظة بنور متألق تشيع فيه الأحلام . وأمسك بيد رفيق له بجانبه ، وشد عليها ؛ وطالت وقفته على هذه الحال والناس من حوله صامتون . وأخيراً همس رفيقه فى أذنه :

— مولاى ! إن الأميرة تنتظرك ... تقدم !

وتقدم الأمير الأسود بخطوات لم تردد صداها جوانب المكان هذه المرة ، وركع أمامها ركعة المتبتل أمام ربه فأنهضته ، وهى تقول :

نحن الذين يجب أن نركع أمام المنقذ العظيم !

ورفع وجهه إليها ، وقال فى صوت خفيض :

عفواً مولاتى ! ... أمام هذا الجمال الإلهى الذى هو قبسة من رَعْ ، ونفحة من إيزيس ، يستشعر القائد العظيم ضآلة نفسه وتفاهة مجده !

— سيدى !

— ليس ثمة عظيم أمامك يا مولاتى ! ... كلنا من أتباعك المخلصين !

وتهامس الناس فيما بينهم دهشين حيارى :

لم يُشاهد الأمير على هذه الصورة ، حتى فى حضرة فرعون الأعلى !

وبدأت الجموع تتفرق والمكان يخلو للضيف وربة القصر ، وأخذ القائد يروى وقائعه ، ويعدد أساليبه ، ويذكر ما ناله من مال وضياع تتعادل معها أموال فرعون العظيم . وختم حديثه قائلاً :

إن الأميرة لتعلم أن فرعون بلا عقب ، وهو الآن شيخ مُثقل بالمرض ، وقد طالبته الكهنة بتبنى أمير يجعله ولياً للعهد ، أمير أهل لهذا المنصب الخطير ...

— وهل وقع اختيار الملك على هذا المحظوظ ؟

فابتسم الأمير ابتسامة ذات معنى ، وقال :

لقد أتم اختياره سراً ، وسيعلنه غداً فى الهيكل الكبير !

وصمتت « أشمس » وهى تتفحص الأمير طويلاً .. ثم انحنت فى خشوع وهى تقول :

يسعدنى أن أكون أول من يقدم طاعته لصاحب التاجين ، وريث ملك الفراعنة العظيم !

فأمسك الأمير بيدها ، وقال :

هذا الملك العظيم ، وهذا القصر الباهر ، وهذه الأموال التى لا يستطيع أن يحصيها أحد . كل ما كسبته وما سأكسبه ، أضعه تحت قدميك أنت يا أميرتى ، ويا مولاتى ! ... أقدم لك كل هذا مقابل شىء واحد منك ...

فأسبلت الأميرة جفنيها ، وتابع الأمير حديثه فى لهجة مشبوبة :

كلمة منك يا أشمس تجعل هـذا الوادى الفسيح بسكانه وكنوزه ، هذا الملك الضخم طوع يديك ... قولى كلمة الرضا ، ثم مُرِى ، فلن يعصى لك أحد أمراً ...

ونهضت الأميرة ، وهى تقول فى صوت حبيس :

ألا تذهب إلى الشرفة فتلقى نظرة على البستان ؟

فأجابها الأمير ، وهو حائر :

كما تريدين !

وذهبا إلى الشرفة ، وأطالت الاميرة النظر إلى الحديقة ، وهى تُصَعِّد بصرها فى أشجارها وأزاهيرها . ثم قالت :

أيسمح لى الأمير أن أقص عليه قصة صغيرة ؟

فأجابها ، وهو يزداد عجبا :

إنى مصغ إليك يا أميرة !

— كان فى الزمان الغابر فتاة من الأثرياء ، من أسرة رفيعة النسب ؛ تحيا ناعمة البال فى قصرها ذى البستان الكبير حياة ترف ورغد ، ولم يكن لها مطمع تصبو إليه إلا الثور على أليف تنعم معه بحب ووفاء ، شأنها فى ذلك شأن كل فتاة . وحج إلى قصرها أعلى الأمراء شأناً ، وأكثرهم جمالاً وثراء يطلبونها للزواج فردتهم بلا أمل ...

— ولم ذلك !

— لأنها كانت مخدوعة بنفسها ، مغرورة بجمالها ، فلم ترُقها واحد من هؤلاء الأمراء !

— ومَن كانت تنتظر أن يتقدم لها بعد هؤلاء ، وهم صفوة البلد ... ؟!

وتريثت الأميرة فى إجابتها ، وهى تسرِّح طرفها فى الأفق حيث الظلام مقبل فى وحشته وصمته وأسراره ... وقالت :

— هى نفسها لم تكن تدرى ، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تنتظر وتؤمِّل !

— وهل طال انتظارها ؟

— كلا !

— إذاً عثرت على ضالتها ؟!

— نعم أيها الأمير ...

— أكان قائداً غازياً ؟

— كلا !

— أوزير خطير هو ؟

— كلا !

— إذاً هو ملك من نسل الآلهة !

— ولا هذا أيضاً ...

— من يكون ؟!

— وأرسلت الأميرة تنهدة خفيفة وقالت فى صوت الهامس:

— شاب رقيق الحال ، مرهف الشعور !

— وما مهنته ؟

— ليست له مهنة ، كان يقضى أيامه يجوب البساتين ، ويتنزه على ضفاف الأنهار ، يستمتع بمحاسن الطبيعة !

— إنها حياة أقرب إلى التَّبطُّل والصعلكة ...

فتمتمت الأميرة بلهجة الحالم ، وهى تستقبل بعينيها كتائب الظلام المكدس بعضها فوق بعض :

— قد يكون ذلك ، ولكنه الوحيد الذى استطاع أن يصهر كبرياءها ، ويحطم تاج غرورها !

فندّت عن الأمير صرخة :

— هو ؟! ... أيمكن ذلك ؟

— أجل لقد أحبته الفتاة ، أحبت فيه ذلك الشاعر المرهف الحس ، ينشدها أعذب ألحانه وأرقها !

— أكان شاعراً ينظم لها القصائد ، وينشدها إياها ؟

— كان ينظم قصائده بلا كلام . وينشدها إياها من مزماره الرخيم ! ...

فأصابت الأمير هزة شديدة ، وقال فى صوت جياش :

— وهل تقابلا ؟

— كلا ، فهى لم تره ، بل أغرمت به على البعد ! ... ولا تدرى أرآها ، أم لا ؟ !

— لا ريب فى أنه رآها ...

— ليس ذلك مؤكداً ، فعيون هذا الشاعر الجوال ، كانت أقصر من أن تخترق خمائل البستان أو جدران القصر ، لتكشف عن الفتاة وتلتقى بعيونها !

— يا للفتى البائس ! ... لو علم أنها تضمر له هذا الحب لطار إليها ، وارتمى تحت قدميها يلثمها فى عبادة ...

— من يدرى أيها الأمير ؟ ... إنه فتى غريب الأطوار ، يعيش وفق هواه ... قد يرفض حبها لو تقدمت به إليه ! !

— محال !

— ولكنه لو كان يعلم كم أحبته هذه الفتاة ، وكيف أنها ترضى أن تعيش معه تقاسمه حياته الطليقة فى دنياه الرحبة الوضاءة لقبل منها هذا الحب !

وتمتم الأمير بكلمات متقطعة ، وقد شد بيده على حاجز الشرفة حتى كادت أصابعه تدمى ، وتابعت الأميرة حديثها :

— لقد بَرِمَت الفتاة بحياة الثروة والجاه التى تحياها ، وتوضحت أمامها بشاعتها ، وأحست ثِقَلها المرهق يحبس أنفاسها . فرغبت أن تفر من بيئتها ، تستبدل الكوخ الساذَج الهادئ بالقصر المنيف الصاخب ، والرداء الخفيف المزين بالأزهار بالثوب الثمين اللامع بأوصال اللآلئ ... لقد بَرِمَت بكل شىء يحوطها ، واشتدت بها الرغبة أن تهرب ، فتلحق بشاعرها تقضى حياتها فى رحى مزماره ! !

— ولكنها لم تفعل !

— لقد كادت ... ولكن الفتى اختفى فجأة !

— أهرب ؟

— إن الناس يُرْجِفون بموته ، فقد تكون التماسيح أكلته ... ومن ثَمَّ أسدلت الفتاة على حياتها ستراً غليظاً يحجبها عن العالم أجمع !

— قد تسلوه يوماً ، فترضى الزواج بأمير كبير !

— إن القصة تحدثنا أن الفتاة قضت فى عزلتها عامين ، وهى لم تتغير ... إنها لا تطلب الأمير ، ولن تطلبه ، بل ستحيا مترقبة شاعرها الفقير كما هو بردائه الساذج ، وقلبه الكبير ... لن تستبدل به أحداً مهما يعظم قدره ويتسع ماله !

— وهنا تنتهى القصة ... أليس كذلك !

— تكاد تنتهى ، والبقية فى كلمتين ، أتريد أن أتمها لك ؟

فقال الأمير ، وهو يضغط كلماته فى حسرة مكتومة :

— إذا رغبتِ ، أتممتها أنا لك !

فتمايلت الأميرة ، وعرضت على وجهها ابتسامة ، وقالت :

— كيف ؟ أو تعرفها ؟

فقال فى شىء من السهوم :

— إن حذقك فى رواية القصة ، قد جعلنى أحزر خاتمتها !

وراح الأمير يحد بصره فى نجوم الليل البعيدة ، كأنه يريد أن يستلهم منها كلمة نصح أو هداية ... ولكن لم تطل وقفته على هذه الصورة ، فانحنى أمام الأميرة ، وقال :

— لن أنسى ما حييت حسن احتفائك بى !

وقبّل يدها قبلة طويلة عميقة ، ثم ترك المكان لا يلوى على شىء ...

واستقل على الفور عجلته الحربية ، واستأذن رفاقه !

وانطلقت به العربة ، هائمة فى أديم الصحراء ، تشق أمامها سجف الظلام شقاً !...

محمود تيمور